مقدمة وتوطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونثني عليه بما يليق بجلاله وكماله وكبريائه.

والصلاة والسلام على خير مولود، وأسعد مخلوق، إمام الحق، وخير الخلق، أول شافع وأول مشفع، وأول مَن تنشق عنه الأرض يوم القيامة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن الحديث عن الإيمان حديث جميل وممتع؛ لأن المسلم لا يجد للحياة مذاقًا إلا إذا تفاعل مع الإيمان واستجاب له، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ولأن الإيمان هو الفطرة الطيبة، ليس فيها تردد ولا التواء، ولأن الله تعالى خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكة السماء، وخلقه في أحسن تقويم، وخصه بالتكريم بين العالمين، وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب، ومهد له طريق الهداية، وذكّره بنعمه عليه فيجب عليه أن يعبد ربّه، ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [فاطر: ٤].

لا نستطيع أن نعدد آيات القرآن الكريم التي ربطت بين النعم العظمى والإيمان، ولكنك ـ سلمك الله ـ ترى في القرآن الكريم ما يدعوك إلى إعادة التفكر والتأمل

في أحوال البشر الذين نسوا هذه النعم فابتعدوا عن الحق، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨ - ٢٩].

ورغم أنه لا يُستدل بالنعم على الله ﷻ؛ لأن الله تعالى خير الشاهدين، ولكن في باب الإيمان يحتاج بعض الناس إلى مايقوي إيمانهم بالله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ترى في القرآن الكريم أن كل نداء بالإيمان يأتي بعده تكليف من الله لنا، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فوجود الإيمان واستقراره في القلب المسلم معناه أن الإنسان يستطيع أن يتلقى التكليفات عن الله ﷻ.

ولا تتحقق الأخلاق في الإسلام، ولا تظهر آثارها إلا إذا كان هناك إيمان ثابت راسخ يعطي المسلم اليقين في أنه لن تكون هناك حياة طيبة إلا بالإيمان، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ورصيد الإيمان في قلب المسلم هو الذي يضيف إليه باقي الصفات الأخرى، مثل: أن يكون صبورًا حليمًا ورعًا قنوعًا وفيًّا صوامًا قوامًا ذكارًا شكارًا منيبًا وهكذا.. وإذا اختفى هذا الرصيد من الإيمان، فإن الإنسان سيتخبط في ضلال، ولا يقوى على تحمل مصائب الحياة، وليس عنده من اليقين ما يهوّن به عليه مصائب الدنيا، قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

ولا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الإيمان كما لا يستطيع أن يستغني عن الطعام والشراب؛ لأن الإيمان هو وقود القلب والروح، وحركته الدائمة، وهو النجاة من

الخوف والحزن والهم والكسل وضيق الصدر، ووحشة النفس في الدنيا، وهو النجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٤].

ولأن الإيمان له حق، وله حقيقة، فلا يبلغ المسلم حقيقة الإيمان إلا عندما يزداد يقينه بالله، فيرتفع بهذا اليقين منزلة عالية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

وليس المطلوب من المسلم فقط أن يؤمن، وإنما المطلوب منه أن يرتفع بإيمانه؛ حتى يستطيع أن يرى هذا الإيمان في دمه، ويوجه سلوكه ويستشعر حلاوة الإيمان في قلبه، فإن الإيمان له مذاق، وله حلاوة، وله جمال، وله نضارة في الوجه، وانشراح في الصدر، وله تجلياته في سلوك المسلم، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. فكل هذه المعاني يمكن جمعها في جملة واحدة نسعى إليها جميعًا، وهي أن نصل إلى مرتبة: (كيف نتذوق حلاوة الإيمان؟).

وهذا ما يَسعَى إليه هذا الكتاب الذي يأخذ بيد القارئ إلى مرحلة المجاهدة في تذوق طعم الإيمان من خلال مرتبة الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا عن الإسلام وعن شريعة الإسلام، والرضا عن سيدنا محمد ﷺ، والرضا به ﷺ.

ويتناول هذا الكتاب ستة موضوعات رئيسة تدور في فلك الارتقاء بالإيمان في قلب المسلم، بداية من درجات الاستجابة للإيمان، ومرورًا بالتعرف على درجات الإيمان، ثم الارتفاع إلى مرتبة كمال الإيمان، ثم الربط بين الإيمان واليقين معًا، وتقديم نماذج عملية لهذا الربط.

وانتقل الكتاب بعد هذا إلى تناول قضية تلقيح الإيمان، وذلك بالتعرف على معنى تلقيح الإيمان، ثم الربط بين تلقيح الإيمان والعبودية والرجاء، ثم تلقيح الإيمان بحب النبي ﷺ، ثم تلقيح الإيمان بملائكة الرحمن، وختامًا بتلقيح الإيمان في ليلة النصف من شعبان.

ثم ينتقل الكتاب بنا إلى الموضوع السادس والأخير، ويدور مضمونه حول اغتنام أيام الخيرات والنفحات التي يمنحها الله لعباده في شهر رمضان.

ولكون العبادات جانبًا مهمًّا يرتقي بالمسلم إلى مرتبة المجاهدة والتثبت، فقد تناول الكتاب الصوم وعزائم المغفرة، وهذا التدليل على أن العبادات مجال للمغفرة، وفي الوقت نفسه يستمد المسلم منها العزيمة إذا أخلص في أداء العبادة.

ولله الحمد ومنه العون، فقد اجتهدنا في بيان معنى حلاوة الإيمان وطعم الإيمان، وكيف يصل المسلم إلى هذه المرتبة، وهذا ما تناولته فصول هذا الكتاب الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون بابًا من أبواب الخير ورفع الهمة لدى المسلمين، ويكون مجالاً لتلقيح الإيمان في قلوبنا، والمآزرة والتواصي بالحق والصبر.

اللهم اختم لنا بخير، واجعل سعينا خيرًا، وعملنا صالحًا، واجبر كسر قلوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا، واشملنا بعفوك ورضاك، وأذقنا حلاوة الشوق إليك، واجعل عملنا طاهرًا مطهرًا، واكتبنا من المؤمنين حقًّا الذين يرجون رحمتك، ويخشون عذابك.

والله من وراء القصد ومنه العون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الراجي عفوربه

أحمد عبده عوض

الثلاثاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٢هـ

الموافق ١ مارس ٢٠١١م